اللسان العربي الآلية التي تتحدى الزمن وقفة علمية على الخصائص المميزة

الأستاذ الدكتور عمار ساسي

بجامعة البليدة

قسم اللغة العربية وآدابها

مقدمة:

يقف اللسان العربي في الزمن موقف العربي في الزمن العملاق العداء الذي يتحدى ولا يبالي، ولعل صفحة التاريخ خير شاهد حي ناطق على ذلك...وهي لا تزال تتلاحق بعداها تترى بصور مختلفة، وستبقى كذلك إلى أن يشاء الله، وأحسب أن صفتي التعدي والتحدي قد صارتا كالأختين الشقيقتين اللدودتين؛ إحداهما ينخرها الجهل والعداء، والثانية يملؤها العلم والحلم وأتمثل صراع التعدي والتحدي بدقة في مقولة الحكيم:

يخاطبني السفيه بكل حمق***وآسف أن أكون له مجيبا

يزداد سفاهة وأزداد حلما*** كالعود يزيده الإحراق طيبا

ويقف بين الألسن البشرية وقفة متميزة في جوانب أساسية كثيرة، يمكن ضبط بعض منها في العناصر التالية:

ا -

لبنية التركيبية العامة للسان العربي التي تظهر فيها سمات الوجود الثابتة فيه.

- عالم الصوت في اللسان العربي الذي يظهر فيه الصوت بدلالته الكلية والجزئية.
- عالم الصيغ في اللسان العربي، ونظام الأبنية ودلالتها الكلية، وهو مظهر اقتصادي جليل يؤكد صلاحية اللسان العربي لكل زمان ومكان ويفتح الطريق لصناعة المصطلح وفق الحاجيات المتجددة,
- عالم التركيب المتميز في اللسان العربي وذلك لتثبيت القدرة فيه على استيعاب معاني الوجود بالصوت المنطوق مع الإشارة في بعض الحالات إلى مواطن القدرة في اللسان العربي مقابل مواطن العجز في الألسن البشرية الأخرى.

ما زلت أقول: ما اللسان العربي إلا عالم منطوق لعالم مشهود، وأعني بالتحديد من هذه العبارة ما يأتي: إذا كان في طبيعة الحياة السمع أسبق دائما من البصر لقوله تعالى: "هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون"[1]فإن من طبيعتها الثابتة أيضا سبق البصر النطق، أي: إننا نبصر ثم نعبر ومصدر الاتصال اللغوي في الحياة هو العالم الخارجي وكما هي صورته في الحياة فكذلك صورة اللغة في الحياة شبه بشبه فالعالم الخارجي يمثل لنا على عمودين هما الثابت وهو البنية القاعدية، وهي محدودة أيضا وفي حركة التاريخ يحصل للبنية التركيبة في عالم اللغة مثل ما يحصل للبنية القاعدية في عالم الوجود قال تعالى: "أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من

[1]-الملك 23.

أطرافها"[2] والمتغير في العالم الخارجي هو الموجودات والمخلوقات لأنها محكومة بعامل الزمن، ومن حكم عليه بالزمن فهو فَإن"[3].

ويقابلها في عالم اللغة المفردات للأسماء والأفعال والزمن هنا لا يقاس بالقرن والقرنين إنما بالقرون كما أتصور الموجودات تتكيف مع الأقاليم وتتناسب معها فإذا خرجت عنه لا تثمر ثمرتها، والإثمار هنا هو الدلالة على المعنى، فإذا حصل هذا فكذلك في عالم اللغة تتآلف المفردات مع بعض البنى التركيبية فإذا أخرجتها عنها أذهبت دلالتها، إذا أن جمال المفردة في بنيتها فهي كالشجرة فوق الأرض، إذ لا جمال للشجرة إذا خرجت من الأرض، وكما أن الموجودات في العالم الخارجي باق وجودها، ومستديمة حياتها بالتلاقح لقوله تعالى: "وأرسلنا الرياح لواقح"[4] والمخلوقات بالتناكح والتناسل، فإن المفردات في عالم اللغة باقية حياتها بالاشتقاق والتوليد. وإذا كان لا مجال للتماثل في التناكح والتناسل في عالم المخلوقات، فكذلك لا مجال للترادف في الاشتقاق والتوليد في عالم اللغة وإذا كان العالم الخارجي يبدأ بحركة النهار وينتهي بسكوت الليل، فإن

---

[2]-الأنبياء 44
[3]-الرحمن 26
[4]-الحجر 22

العربية تبدأ بالتحرك وتقف عند الساكن وليست كذلك اللغات وإذا كان الكلام يتألف من اسم وفعل وحرف فكذلك العالم الخارجي فهو متألف من وجود وفعله ورابط بينهما وإذا كان الموجود يتنوع في تضاريسه من مرتفع ومنتصب ومنخفض، فكذلك عالم اللغة فيه التنوع من رفع ونصب وخفض وهكذا وإذا كانت الانسجامية والترابط والتكامل هي الصفات الضرورية اللازمة لإقامة بناء اللغة محكما، فكذلك هي الصفات الضرورية اللازمة لإقامة الحياة في هذا العالم الخارجي شبه بشبه وإذا كانت السماء في الوجود آية واسعة عجيبة وغريبة لم يقف على كشف أسرارها عقل الإنسان وعلمه إلى اليوم ولن يقف؛ لأنها هي ذاتها في اتساع دائم إلى يوم الدين، وقال تعالي: "والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسوعون"[5]. فكذلك البلاغة والبيان يمثلان السقف الأعلى في عالم اللغة، لن يبلغه الإنسان وإن حرص، وقمته القرآن الكريم المعجزة التي تحدى الله بها إلى يوم القيامة: "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا".[6]

---

[5]-الذاريات 47

[6]-الإسراء 88

ومن هذه النظرية يمكن إشارة إشكالية أصل اللغة فإذا كان الإنسان إلى اليوم عاجزا عن إصابة أصل اللغة، فربما حل المسألة موجودة في مساحة العالم الخارجي المحيط بنا.

وأحسب أن من سمات البقاء في اللسان العربي بناؤه التركيبي، ويعني هذا أنه شكل مع الزمن من مجموعة لغات العرب الفصيحة في العصر الفصيح، ويمكن توضيح ذلك بالرسم التالي:

7J 6J 5J 4J 3J 2J 1J

اللسان العربي

والحياة والوجود تركيب، وتلك هي برأينا معلمة من معالم البقاء وانسجامية ظاهرة مع طبيعة التكوين في العالم الخارجي بينما اللسان الأعجمي بناؤه تحليلي ويعني هذا أن اللغات الأعجمية من إنجليزية وفرنسية وألمانية..هي محللة من اللسان اللاتيني ولننظر ماذا يحصل للمحلل بعد قرون من الزمن: هل يبقى أن يفني؟

ويمكن توضيح ذلك بالرسم التالي:

اللسان الأعجمي

7J 6J 5J 4J 3J 2J 1J

عالم الصوت في اللسان العربي:

الأصوات في علم اللغة الحديثة قسمان، صائتة (voyelles) وصامتة (consommes) فالصائت: هو ما كان النفس الذي يؤدي إلى إصرار يجري طليقا لا يعترضه عائق حتى خروجه بحرية من الفم، مثل: صوت (A) أو (0) والصامت: هو ما صادف النفس الذي يؤدي إلى إصداره عائقا في نقطة ما يعترض طريقه حتى خروجه من الفم، فالصوت (L) (P) .

وفي العربية يستخدم مصطلح {الحرف} للدلالة على شكل الكتابة والإشارة إلى الصوت وهذا بخلاف نظرة علم اللغة الحديث التي تستخدم الحرف للإشارة إلى شكل الكتابة، والصوت إلى كيفية النطق.

والآن ما هو الصوت في اللسان العربي؟

يعرف العلامة أبو الفتح بن جني الصوت تعريفا دقيقا مازالت الدراسات اللغوية الحديثة تستند إليه وتعتمده لدقته وعلميته، بقوله: اعلم أن الصوب عرض يخرج مع النفس مستطيلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا[7]ومعنى هذا أن الصوت عند ابن جني ليس حدثا إنما هو عرض للحدث، إذ الحديث هو النفس القائمة عليه حياة الإنسان فالنفس أصل والصوت تبع وعرض.

وصفة الصوت عنده الاستطالة والامتداد ويسمى المقطع أينما عرض له حرفا، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها فمن هذا فكل من الصوت والحرف وانقطاع لامتداد واستطالة الصوت، وكأنه بهذا هو طرف الصوت الذي هو عرض يخرج مع النفس مستطيلا ممتدا ومن هنا ظهرت الدقة عند ابن جني في تحديد مفهوم مصطلح الصوت، وتبين أن الحرف هو صوت ممتد+ مقطع مثني+ صائت وقد يبدو للبعض أن المقطع المثني لامتداد

[7]-سر صناعة الإعراب، ابن جني ح1 ، ص6

الصوت ليس هو الصائت وجوابنا هو: ليس الصائت، إنما المقطع يحصل عندما نقول:

اك/اق/اج/ إذ هو الصوت + المقطع، وهذا هو الحرف عند ابن جني من خلال التعريف السابق، وبعده ياتي الصائت إما فتحة فينتصب الصوت، وإما ضمة فيرتفع، وإما كسرة فيخفض وهنا لا نوافق الرأي القائل: إن الحرف يأخذ الجانب الشكلي الخطي ويختص به والصوت يختص بالجانب النطقي فقط، ونعتبره . الرأي هذا . تحليلا غير قائم على أسس علمية دقيقة ولا نوافق أيضا رأي من يقول: الصوت هو الحرف، لأنه لا يحمل سندا علمية صحيحا، وأكثر من ذلك أن تعريف ابن جني لا يدعمه فالحرف عنده يرادف في كلامه ما سبق أن سميناه بمخرج الصوت وذلك واضح من قوله بعد ذلك "الحرف حد منقطع الصوت وغايته"[8] ونجد مثل هذا الصوت والحرف عند ابن سينا في قوله: "الحرف هيئة للصوت

[8]-نفس المصدر، ص 16

عارضة له يتميز بها عن الصوت آخر مثل الحدة والثقل تميزا في المسموع"[9].

وابن بعيش النحوي يذهب مذهب ابن جني وابن سينا في بيان مدلول الحرف بقوله: (الحرف هو صوت مقروع في مخرج معلوم[10]ومن هنا لا بد من التمييز بين الصوت والحرف وكذا اعتبار الحرف مقطعا للصوت، لا الصوت ذاته، وهي مسألة مهمة جدا لما ترق الصوتيات الحديثة إليها في نظرنا إلى اليوم.

يقول أبو الفتح بن جني: نعم، ومن وراء هذا ما اللطف فيه أظهر والحكمة أعلى وأنصع، وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأداة المعبرة عنها في ترتيبها وتقدم ما يضاهي آخره وتوسيط ما يضاهي أوسطه سوقا للحرف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب..فالباء: لغلظتها تشبه خفقة الكف على الأرض، والحاء لصحلتها "الصحل البحة في الصوت" تشبه مخالب الأسد وبراثن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض، والثاء للنفث والنفث للتراب والشين بما فيها من التفشي

---

[9]-أسباب حدوث الحروف ابن سينا، ص6

[10]-شرح المفصل، ابن يعيش، ج10، ص124

تشبه بالصوت أول انجذاب الحبل قبل استخدام العقد ثم يليه إحكام الشد..[11].

ويقول في هذا المعنى أيضا: فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم .. وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها فيعدلونها بها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدره وما نستشعره...من ذلك قوله خضم، قضم فالخضم لأكل الرطب والقضم للصلب اليابس...[12] يقول الأستاذ محمد مبارك معقبا على كلام ابن جني ما نصه:

وهذا فإن للحرف "الصوت" في العربية قيمة تعبيرية وبيانية في الألفاظ العربية[13] وقد نذهب إلى أبعد من هذا الإقرار أن الصوت قيمة تعبيرية وبيانية في الألفاظ العربية ودلالة بنفسه مفردا، فحرف الغين هو للدلالة على الاستتار والغيبة والخفاء والقاف للاصطدام أو الانفصال،

---

[11]-الخصائص ابن جني:ج2، ص156
[12]-نفس المثدر، ص 157
[13]-فقه اللغة وخصائص العربية، محمد مبارك، ص 104

والسين لليونة والسهولة..والنون للظهور والبروز وما نستنتجه من كلام أبي الفتح بن جني ما يلي:

. للصوت دلالة ثابتة ومعنى قار هو باق معه وملازمة الروح للجسد في حالة الإفراد وتتقوى وتستحكم في حالة التركيب.

. نوافق الصوتيات الحديثة حين يقول الصوت هو أصغر وحدة في السلسلة الكلامية لا تحمل معنى ولا نوافقها في كونها لم توضح ماهية هذا المعنى وطبيعته هل هو المعنى في السكون أم المعنى في الوظيفة "الحركة"، أي: في حالة تبليغ الغرض؟ ويبقي للصوت معناه في العربية، فإذا كان علماء العربية وعلى رأسهم ابن جني قد ثبتوا لصوت دلالته الكلية الثابتة في حالة الفصل فدلالته أثبت برأينا في حالة الوصل.

ومعنى هذا أن أصوات العربية كلها تحمل دلالتها الثابتة، غير أن العربية لا يستعمل فيها الصوت الواحد للتعبير به عن الغرض والإبلاغ، وهو برأينا أمر مجمع عليه في جميع اللغات.

. لا بد من التمييز في هذا الشأن بين مصطلحي الدلالة والوظيفة إذ تمثل الدلالة برأينا السكون، وتمثل الوظيفة الحركة، فمارتيني نظر إلى الصوت من جهة الوظيفة لذلك قال هو: أصغر وحدة في السلسلة الكلامية لا تحمل معنى "في الوظيفة" أما الصوت في أصله الثابت، أي: قبل الوظيفة فهذا لم يشر إليه وقد بيناه قبل ومن هنا نقول إن صوت النون مثلا في العربية يدل على الظهور والبروز[14] ومثال ذلك: نفث، نفخ، نبت، نزف، نزع، نشأ، نما، نطق نهض ..الخ[15] وسنورد في فصل التحليل من هذا البحث نموذج التحليل الصوتي لخطاب سورة الرعد.

عالم الصيغ في اللسان العربية والدلالات الكلية:

علم الصيغ هو في نظرنا أسبق من علم الاشتقاق، وهو ربيبه وينحصر مجال اختصاصه في حدود صيغ الأفعال والأسماء ودلالاتها ونظامها، وهي كثيرة ومحدودة في العربية والاشتقاق هو حركة توليدية تفريقية أساسها علم الصيغ وإن كان في العربية اليوم الاهتمام بالاشتقاق أكثر، والإهمال لعلم الصيغ أكثر، فأنه غدا من الفرائض العينية تصحيح

[14]-التحليل الصوتي في خطاب الرعد د: عمار الساسي الأدبي الثامن اليرموك الأردن 2000
[15]-فقه اللغة وخصائص العربية، محمد مبارك، ص104

هذه الرؤية الخاطئة التي تحبس عن فقه اللسان العربي فقها شاملا وإذا كان لا وجود لكائن في الحياة بغير معنى ولا وظيفة، فكذلك في عالم اللغة لا وجود لكائن في الحياة بغير معنى ولا وظيفة، فكذلك في عالم اللغة لا وجود لصيغة بغير دلالتها الكلية.

وهنا أرى أن أساسية عالم الصيغ وصورة علاقته بالاشتقاق في عالم الوجود يفصح عنها القرآن الكريم بقوله: < مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سع سنابل في كل سنبلة مئة حبة< [16].

وعليه فإذا كان علم التصريف هو علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب[17]وإذا كانت الصيغة تعرف بأنها هيئة الكلمة التي لا يمكن أن يشاركها فيها غيرها من حيث عدد حروفها المرتبة، وحركاتها المعينة وسكونها مع اعتبار الحروف الزائدة الأصلية[18]وإذا كانت وظيفة علم الاشتقاق تتحدد في تصنيف الألفاظ إلى مجموعات بحيث تشترك كل منها في حروفها الأصلية التي تعتبر جذرا لهذه المشتقات التي

---

[16]-البقرة 261
[17]-شرح شافية ابن الحاجب الأستراباذي ج1، ص1
[18]-نفس المصدر، صé

تمثل أسرة لغوية عمادها هذه الحروف الأصلية، فإن علم الصيغ هو هذه الصورة للموسيقى العامة للكلمات التي تعطي معاني كلية كالفاعلية والمفعولية والسؤال الكبير في هذا الصدد هو:

ماهي هذه المعاني الكلية؟

وهل شملتها صيغ العربية؟

ربما سيكون من غير الحكمة الجزء بالجواب إثباتا أو نفيا، قبل بسط تفصيل صيغ العربية ومحتويات المعاني الكلية لها ومع ذلك سأجتهد في جمع أشهرها استعمالا بمعانيها الكلية، ليكون بعدها التعليق إيجابيا.

*أشهر صيغ العربية استعمالا ودلالتها الكلية بالتمثيل:

. فعَل: لمعاني كثيرة ولم يختص بمعنى من المعاني تخرج الحدث إلى المفعول: كسب الحسنة.

. فعِل: يعود الحدث فيه إلى التفاعل وتكثر في العلل والأحزان وأضدادها وتجيء عليه الألوان والعيون والحلي، أي: العلامات الظاهرة للعيوب من أعضاء الحيوان مثل: وجع وحبط وفرح.

. فعُل: لأفعال الطبائع والغرائز مثل: حسن وقبح وكبر وصغر وهي لازمة لا مفعولها حيث يتصف الفاعل فيه بالحدث اتصافا مستمرا[19].

. أفعل: للتعدية غالبا نحو: أجلسته، أسقيته وتأتي للتعريض نحو: أبعته وللصيرورة نحو: أحصد الزرع ولوجوده على صفة نحو: أحمدته.

. فعَّل: للتكثير غالبا نحو: غلّقت، وللتعدية غلقت وقطعت ونحو: فّرحته.

. فاعل: إلى أحد الأمرين متعلقا بالآخر للمشاركة في أصله صريحا نحو ضاربته وشاركته.

. تفاعل: المشاركة في أمرين فصاعدا في أصله صريحا نحو ضاربته وشاركته.

. تفعَّل: لمطاوعة فعل نحو: كسّرته فتكسّر وللتكلف نحو: تشجّع، تحلّم ويختص بالتكثير.

. انفعل: لمطاوعة غالبا نحو استكتبته واستخرجته.

---

[19]-نفس المصدر ص 70 ، 71

. افعلّ: للون والعيب الحسي العارض نحو أبيضّ وأعمشّ.

. أفعالّ: للون والعيب الحسي اللازم 20[20]

. افعوعل: للمبالغة والقوة والزيادة نحو: اعشوشبت الأرض.

فعول: للمسابقة في المبالغة والقوة، وهو بناء مرتجل ليس منقولا من فعل نحو: اعلوّط أي: علا، واخروط أي أسرع،

. افعنلى: مرتجل نحو: اغرندى أي: علاه بالشتم والضرب والقهر.

. تفعلل: للمطاوعة والتكرار.

. الفِعالة: للحرف وشبهها من أي: باب كانت نحو: الحياكة.

. الفُعال: الشراد والهياج نحو: الفرار والنكاح وغالب في السمات نخو العلاط والعراض والجناب والكشاح.

. الفعال: للأصوات نحو: الدعاء والصراخ والنباح وكذا في مصدر الأدواء كالسعال والدوار والعطاس والصداع وهي من غير باب فعل.

[20]-نفس المصدر ص 111،112

. الفُعالة: للشيء القليل المفصول من الشيء الكثير كالقلامة والنفاية[21]

- الفعلان: للتقلب والتنقل كالنزوان والعسلان.
- الفُعْلة: للألوان كالشبهة والكدرة والزرقة
- الفعلة: لموضع الفعل في الأعضاء كثيرا كالقطعة، والقطعة موضع القطع
- المفعلة: لسبب الفعل: مجبنة، محزنة
- ا

لفعول: لما يفعل به الشي، كالوجور لما يوج ربه وكذا النقوع والقيوء أي: الدواء الذي يشرب للقيء، وهو صيغة مبالغة للذي يكثر قيؤه[22]

- مفعل: المصدر الميمي من الثلاثي المجرد الذي لا تاء فيه كفعلة نحو ضربة وقتلة.
- فَعْلة: اسم المرة من الثلاثي المجرد الذي لا تاء فيه كفعلة نحو ضربة وقتلة.
- فِعْلة: اسم الهيئة كجلسة.
- فاعل: اسم الفاعل كضارب من ضرب.
- مفعول: اسم المفعول كمضروب.

---

[21]-نفس المصدر ص 135

[22]-نفس المصدر ص 162.

- فاعل: اسم الزمان واسم المكان كمشرب ومقتل في المكان ومضرب وموعد في الزمان.
- مِفْعل، مِفِعال، مِفْعلة: اسم الآلة كالمحلب والمفتاح والمكسحة.
- فعلن أفعل، فعلان: الصفة المشبهة والغالب فيه في الأدواء الباطنة والعيون الظاهرة والحلي اللازمة وظاهر الاستمرار أما فَعُل فالغلب للغرائر نحو كرم، صعب وجبن[23].
- أفعل: اسم التفضيل23.

يقول العلامة ابن الحاجب النحوي في الشافية: اعلم أن المعاني المذكورة للأبواب المتقدمة هي الغالبة فيها، وما يمكن ضبطه، وقد يجيىء كل واحد منها لمعان أخرى كثيرة لا تضبط[24].

وبعد هذا فهذه صورة تعكس أشياء تعكس كثيرة ميز بها اللسان العربي منها:

- أن نظام الصيغ والأبنية فيه محكم ومنظم نظاما رياضيا < في الأفعال والأسماء>
- لكل صيغة دلالة كلية في الوجود.
- عالم الصيغ عالم ثابت ومحدود ومن صيغ محدودة تولد ما لا نهاية من الأسماء والمصطلحات.

---

[23]-نفس المصدر ص 148

[24]-نفس المصدر ص 113.

- عالم الصيغ في اللسان العربي منسجم ومتوافق مع طبيعة نظام الكون القائم على عالم الصيغ المحدود أيضا.

كيف نصنع المصطلح في اللسان العربي؟

في البداية يحسن تمثل المسلمات التالية:

لابد من تمثل مركبات المفردة <الكلمة > وهي: الصيغة، المادة، المعنى. فالصيغة محدودة والمادة غير محدودة والمعنى مولد منها.

. عالم الصيغ المحدودة وهو مستخرج من المادة اللغوية الفصيحة وهو الميزان الذي يمتز به العربي من الكلام من غير العربي وهنا لابد من السؤالين التاليين:

1 . هل المادة اللغوية التي جمعها اللغويون في الزمن الفصيح كافية أم لا؟

2 . هل المقاييس والشروط المتبعة في الجمع كافية ومقنعة أم لا؟

وهذه أسئلة هامة لموضوع آخر ولها نصيب معتبر في بلورة الجواب الصحيح,

- لابد من وقفة تأملية علمية حديثة جديدة في قوله تعالي:

"وعلم آدم الأسماء كلها"[25]ربما تكون موضوعا لبحث مستقبل في المستقبل،

- عالم الصيغ في اللسان العربي هو وليد الاستعمال.

---

[25]- البقرة 31ا

- المصطلح صيغة ومادة ومعنى وهو لا يخرج عن فصيح كلام العرب.
- ا

لمادة غير محدودة وبذلك يصنع التوازن.

- م

حدودية الصيغ والدلالة لكل صيغة تمنع الزيادة في صيغ اللسان العربي.

- علم الصيغ في العربية مربوط بالفصاحة العربية المحدودة بالزمان والمكان,
- إذا لم تكن مدونة العربية كاملة، فالقرآن الكريم هو اللسان العربي المبين الحجة، فهو جامع لكل صيغه من غير نقصان، والبحث فيه مستمر
- المادة اللغوية "العجينة" متغيرة، وهي عندي تمثل محتوى الصيغة، لأن الصيغة هي هيكل الكلمة ومنهما يتولد المعنى.
- هناك أمر في القضية لابد منه وهو: أن العالم "الحياة" ثابت ومتغير، والثابت تمثله الموجودات والمخلوقات كالسماء والأرض والهواء والماء والبر والبحر والإنسان و الحيوان والطير والشمس والقمر...الخ، وهذا دائرته ثابتة لا خل لاجتهاد الإنسان فيها أما المتغير فدائرته الوسائل والأدوات والآليات، أي: وسائل الحياة وأدواتها، وهو حقل اجتهاد الإنسان وصناعة المصطلح لا تخرج عن هذه الدائرة فقد كنا نمشي على أرجلنا ثم صنعنا السيارة وأوجدنا لها مصطلحا، وسرنا نركبها،

والسيارة ليست هي الحياة لكن وسيلة من وسائل تيسير الحياة، فإذا غابت بقيت الحياة قائمة وكذلك الأمر في كل المخترعات حاضرا ومستقبلا، إذ المصطلح للمخترع في دائرة الوسائل.

- النسبة الغالبة في المخترعات لا تخرج عن دائرة الحرفة والصناعة وهي في غالبتها أجهزة للعمل، والحرفة والأداة لهما صيغتهما في اللسان العربي،
- هناك نسبة معتبرة من المصطلحات مبثوثة في التراث المعرفي العربية تجريبيا كان أم إنسانيا مهملة جهلا أو تجاهلا.
- هناك مصادر لا أفعال لها في اللسان العربية، ما السر في دلك؟ مثل كلمة حساب.
- وحدة المصطلح وهم مزعوم، وإشكال مثار عن غياب فقه دقيق باللسان العربي.

أدوات تكوين المصطلح:

ويمكن حصرها في الخطوات التالية:

1- الوظيفة "الفعل"

2- الصيغة ودلالتها الكلية المناسبة لإطار الوظيفة.

3- دفع الإبهام وإبعاد الالتباس.

4- التدقيق في تحديد ماهية المصطلح انطلاقا من مبدأ نكران ظاهرة الترادف.

5- تصحيح الخطأ السابق: وهي نقطة جد كبيرة، ولا أكون مبالغا إن قلت جد خطيرة

ذلك أن المعاجم على الرغم من الذخيرة اللغوية التي تحتويها إلا أنها مازالت تفتقر إلى شيء مهم يقال له: الدقة أو التدقيق في تحديد تعاريف المصطلحات، وهو في رأيي الأساس الذي تكون منه صناعة المصطلح.

ولابد من الاعتراف بأن غياب هذه الخاصية كانت وراءه هذه الأزمة المصطلحية العربية ويمكن حصرها في عنصرين كبيرين:

1- الارتجالية في غياب التراث والدقة،

2- الوحدة

لذا فمعظم مطالبنا في الندوات العلمية المحلية منها والدولية لا تخرج عن دائرة الدعوة إلى توحيد المصطلح، فكأنه صار هو الهم الأكبر، في حين هناك شيء هام قبله يوجب الطرح في نظرنا بحيث إن صلح حصلت وحدة المصطلح وإلا طلبنا مستحيلا والأمثلة في هذا النوع كثيرة جدا ولنأخذ ما هو في الساعة والساحة مثال: حاسوب= ordinateur إذ أن ترجمته العربية الحالية هي حاسوب على صيغة فاعول من فعل حسب والسؤال هل هذه الترجمة صحيحة؟ بالإحصاء والتدقيق والملاحظة ثبت ما يلي:

حسب لا تساوي عد.

ظن الفصيح

حسا <عدهم عدا >[26].

والملاحظة أن القرآن الكريم "اللسان العربي المبين" لم يستعمل من مصطلح الحساب فعله الشائع استعماله في العادة اليوم "حسب" ولكن استعمل مصطلح الحساب إلى جوار مصطلح العقاب، فيكون بذلك للمصطلح الدلالة الخاصة والذي استعمله القرآن من فعل "حسب " يفتح السين وكسرها هو في معنى ظن في قوله تعالي: "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء"[27].

والسؤال لماذا؟ ربما يكون في العربية قد رعي الاستعمال الحديث للحدث فذاك هو الذي وفر له الفعل والمصدر وفي الحالة التي يكون الفعل والمصدر وفي الحالة التي يكون على دلالتين متباعدتين مثال: حالة فعل حسب بمعنى طن الحال فإن حصل أن توفر لحسب التي بمعنى عد الفعل والمصدر، وحصل لحسب التي بمعنى ظن الفعل والمصدر معا على السواء، فستصب اللغة لا محالة بالإبهامية والغموض والتداخل الدلالي، وبذلك يذهب عنها رونق الدقة.

لذا . والحال هذه . كان لابد من التدقيق بالتمييز بينهما وعليه فليس إلا التمييز بتوفير الفعل ومصدره لما كثر استعماله واحتيج إليه أكثر وتخصيص الثاني بالمصدر دون فعله تميزا عنه هذا الرأي الأول، والرأي الثاني قد يأخذ عندي منحى دلاليا له اعتباره وذلك أن الحساب يكون في

---

[26]- مريم 94.
[27]-آلي عمران 169ل

النهاية دائما، أي: بعد إنجاز الفعل، والنهاية تكون لحصول الحدث وثبوته وتحققه، والحصول والثبوت والتحقق يلائم الاسم دون الفعل لذلك انعدم الفعل وتوفر المصدر كما أن المسألة مزهرا اقتصاديا علميا دقيقا لهذا استعمل القرآن في معنى الحساب من الأفعال أحصى وعدّ فقال: "لقد أحصاهم وعدّهم عدا" [28]ويضاف إلى ما عرض أنه لما توفر في المعنى فعل "عدّ" كان لزاما الاستغناء عن حسب كمظهر اقتصادي في اللغة ودفعا به للالتباس والإبهام بينه وبين حسب التي بمعنى ظن، اللذين قد تصاب اللغة بهما حين استعمال فعله فترك هذا وحذف ذاك حفاظا على التوازن وتثبيتا للدقة وتوفيرا للاقتصاد وتأكيدا للإبانة وفي دلالة مصطلح "حسب" يقول الراغب الأصفهاني: الحساب استعمال العدد يقال: حسب أحسب حسابا وحسبانا قال تعالي: "لتعلموا عدد السينين والحساب"[3029]غير أن القرآن لم يستعمل الفعل حسب في هذه الآية وفي غيرها مما لم نذكره ويبقي السؤال لماذا؟

وما يمكن أن نبديه كرأي علمي متخصص أن مصطلح "حاسوب" المراد به جهاز الإعلام الآلي، هو مصطلح مرتجل وموضوع على غير فقه باللسان العربي هذا من حيث الدلالة أولا أما من حيث الصيغة، " فاعول" فأن دلالتها لا تخرج عن التكثير والتكرير وهي لا تناسب صيغة الجهاز والآلة هذه لهذا يستحسن في الفصيح بدل مصطلح حساب إحصاء

---

[28]-مريم 94

[29]-الإسراء 12

[30]-معجم مفردات ألفاظ القرآن الراغب الأصفهاني ص 115،116

تبعا لوظيفة الجهاز ولدقة دلالة المصطلح وليس من باب الغريب في نظرنا أن يطرح هذا الأمر اليوم ما دامت العبرة بالصحيح الفصيح وعليه لماذا لا يسمى هذا الجهاز بدل الحاسب "بمحصاة" حيث فعلها أحصى ويمثل الوظيفة، ووزنها مِفْعَلَةَ "الصيغة العربية الفصيحة" فيكون معناه الجهاز الذي يحصي كل ما ركب فيه ولا يغادر منه شيئا وفي بيان دلالة فعل أحصى يقول الراغب الأصفهاني:

الإحصاء التحصيل بالعدد، يقال: أحصيت كذا، وذلك من لفظ الحصى واستعمال ذلك فيه من حيث إنهم كانوا يعتمدونه بالعد كاعتمادنا فيه على الأصابع، قال تعالى: "وأحصى كل شيء عددا" [31] أي: حصّلة وأحاط به[32] . وبهذا تتضح الرؤية والأمر نفسه يطرح على مصطلح "الناسوخ" وهو مترجم بمصطلح "فاكس"، ففعل الجهاز هو "نسخ" وصيغة الآلة هي: مفعلة وعليه لماذا لا يسمى الجهاز "منسخة"، وما المانع من ذلك؟

وحين تكون الأمور بمقاصدها، فيكون المقصد الأول هو فعل النسخ لا صيغة المبالغة فساعتها يستوصب الأمر أما صيغة "فعول" فهي في أول دلالتها للمبالغة لا للنسخ الذي هو الأساس في صنع المصطلح والأمثلة التطبيقية كثيرة في هذا المنوال ولعله بهذا التصور والإجراء يمكن الحفاظ على نظام العربية وفصاحتها وإبانتها ودقتها واقتصادها ونضيف

---

[31]-الجن 28.

[32]-معجم مفردات ألفاظ القرآن الأصفهاني، ص120 ، 121

في هذا الصدد من أمثلة الساعة بدل جهاز التصوير "مصورة" على وزن مفعلة.

في عالم التركيب المتميز:

والحق أن نقطة المقارنة بين اللسان العربي والألسن البشرية في هذا المستوى التركيبي كبيرة جدا إلى حد أن تكون عنوان مؤلف بفصوله وأبوابه غير أنه للأهمية يحسن بي عرض كلم نفيس ذي قيمة علمية لأحج كبار علماء اللغة في القرن التاسع المجتهدين والمحددين في بحوثهم وهو الإمام السيوطي، الذي اعتمد مؤلف العلامة أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: اعتمادا كبيرا حيث قال: ((إنها أفضل لغة وأوسعها قال أحمد بن فارس: لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها، قال تعالى: (وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربية مبين)[33]فوصفه بأبلغ ما يوصف به الكلام وهو البيان وقال: (خلق الإنسان، علمه البيان)[34] فقدم . سبحانه وتعالى ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه، وتفرد بإنشائه من شمس وقمر ونجم وشجر وغير ذلك من الخلائق المحكمة والنشايا المتقنة.

فلما خص اللسان العربي بالبيان علم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه...[35]وفي بيان الحجة العقلية على فضل اللسان العربية يقول:

---

[33]-الشعراء 192، 195

[34]-الرحمن3-4

[35]-المزهر، السيوطي ج1،ص 322 المكتبة العصرية، بيروت

((فإن قال قائل:"فقد يقع البيان بغير اللسان العربية لأن كل من أفهم بكلامه على شرط لغته فقد بين قيل له: إن كنت تريد أن المتكلم بغير اللغة العربية قد يعرب عن نفسه حتى يفهم السامع مراده، فهذا أحسن مراتب البيان، لأن الأبكم قد يدل بإشارة وحركات له على أكثر مراده، ثم لا يسمى متكلما فضلا عن أن يسمى بينا أو بليغا وإن أردت أن سائر اللغات تبين إبانة اللغة العربية فهذا غلط.

لأنه لو احتجنا إلى أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد ونحن نذكر للسيف باللغة العربية صفات كثيرة وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء والمسميات بالأسماء المترادفة فأين هذا من ذاك؟

وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العربية؟؟ هذا مالا خفاء به على ذي نهية (العقل)[36] وفي بيان اتساع اللسان العربية لجميع المعاني عبر الزمن عن غيره من الألسن البشرية وقدرته عليها يقول: ((...لأن غير العرب لم تتسع في المجاز اتساع العرب؛ ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله: (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء...)[37]لم تستطيع أن تأتي لهذه بألفاظ مؤدية عن المعنى الذي أودعته حتى تبسط مجموعها وتصل مقطوعها وتظهر مستورها، فيقول: إذا كان بينك وبين قوم هدنة

[36]-نفس المصدر، ص 323
[37]- الأنفال 85

وعهد فخفت منهم خيانة ونقضا فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطته لهم، وآذنهم بالحرب لكون أنت وهم في العلم بالنقض على الاستواء.

وكذلك قوله تعالى: ((فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا))[3938]. وهذا . في رأي . كلام عظيم وجليل فيه كثير من الخفايا والأسرار التي تصمنها اللسان العربي وقد خفيت على الكثير من الباحثين في هذا العصر كان هذا في القرآن الكريم، أما الشعر العربي الأصيل فالأمثلة فيه كثيرة جدا، وفي هذا السياق يقول: ((وقد تأتي الشعراء بالكلام الذي لو أراد مريد نقله لا عتاض وما أمكن إلا بميسور من القول وكثير من اللفظ ولو أراد أن يعبر عن قول امرئ القيس: ((فدع عنك نهبا صيح في حجراته)) بالعربية فضلا عن غيرها لطال عليه.

وكذلك قول القائل: والظن على الكاذب وتجارها نارها وعي بالأسناف...وقلب لو رفع، وعلى يدي فأخضم، شأنك إلا تركه متفاقم.. وهو كثير بمثله طالت لغة العرب دون اللغات ولو أراد معبر بالأعجمية أن يعبر عن الغنيمة والإخفاق، واليقين، والشك والظاهر، والباطل، والمبين والشكل، والاعتزاز، والاستسلام...لعي به))[40].

وهي حقيقة تنبئ عن فضل اللسان العربية على الألسن البشرية، والله أعلم حيث يجعل الفضل ويسترسل الإمام السيوطي في بيان فضل اللسان

---

[38]-الكهف 11

[39]- المزهر، السيوطي ج1، ص 322 المكتبة العصرية، بيروت

[40]-المصدر السابق ص 324

العربي في المجال الصرفي قائلا: ((ومما اختصت به العرب بعد الذي تقدم ذكره: قلبهم الحروف عن جهاتها ليكون الثاني أخف من الأول نحو قولهم: ميعاد، ولم يقولوا: موعاد (وهما من الوعد) ومن ذلك تركهم الجمع بين الساكنين، وقد يجتمع في لغة العجم ثلاثة سواكن، ومنه قولهم:

ياحار . ميلا إلى الخفيف . ومنه اختلاسهم الحركات في مثل: فاليوم أشرب غير مستحقب: (المحتمل) ومنه الإدغام وتخفيف الكلمة بالحذف، نحو لم يك، لم أبل.

ومنه إضمارهم الإفعال نحو: (امرأ اتقى الله)، و(أمر مبكياتك لا أمر مضحكاتك) ومما لا يمكن نقله أوصاف السيف والأسد وغير ذلك من الأسماء المترادفة.

ومعلوم أن العجم لا تعرف للأسد أسماء غير واحد، فأما نحن فنخرج له خمسين ومئة اسم، ويؤكد العلامة أحمد بن فارس اللسان العربي على سائر الألسن البشرية بقوله:

فأين لسائر الأمم ما للعرب؟؟ ومن ذا يمكنه أن يعبر عن قولهم: (ذات الزمين) أي: (تراخي الوقت)، (وكثرة ذات اليد) و(يد الدهر)، و(تخاوصت النجوم) أي: صغرت و(مجت الشمس ريقها) و(ذرأ الفيء)، و(مفاصل القول)، و(أتى بالأمر من فصه) و (وهو رطب العطن) ، و(يخلق ويفري) و (وهو ضيق المجم، قلق الوضين، رابط الجأش،...و(وهو ألوى بعيد المستمر، أي: قوي الخصومة لا يسام المراس،

وهو (شراب بأنقع) و(هو جذيلها المحكك وعذيقها المرجب...) والجذال عود ينصب الإبل.. وما شبه هذا من بارع كلامهم، ومن الأيمان اللطيف والإشارة الدالة، وما في كتاب الله تعالى من الخطاب العالي أكثر، وأكثر، كقوله تعالى: (ولكم في القصاص حياة)[41](يحسبون كل صيحة عليهم)[42] (وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها)[43]، (إن يتبعون إلاّ الظن...)[44]، (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله)[45]...وهو أكثر من نأتي عليه)) [46]ثم قال: وللعرب بعد ذلك كلم تلوح في أثناء كلامهم كالمصابيح في الدجى كقولهم للمجموع للخير: قتوم وهذا أمر قاتم الأعماق أسود النواحي واقتحف الشراب كله....الخ))[47]وذكر أمثلة كثيرة من هذا النوع كلها تنبىء عن سعة الشراب كله...الخ) وذكر أمثلة كثيرة من هذا النوع كلها تنبىء عن سعة هذا اللسان العربي، في مقابل ضيق الألسن الأعجمية.

وفي هذا الصدد ولبيان هذا الفصل يمكن الوقف على التمثيل التالي:

قال تعالى: (فإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين)[48]والآية تفيد: إن أبرمت عقد هدنة مع العدو، ثم خفت خيانته فبادر ينقض العهد وأعمله بذلك حتى تكونا في الخبر سواء إن الله

---

[41]-البقرة 179
[42]-المنافقون:4
[43]-الفتح 21
[44]-النجم 23
[45]-فاطر 43
[46]-المزهر، السبوطي ج1، ص 326
[47]- نفس المصدر، ص 326
[48]- الأنفال (_

لا يحب الخائنين إن هذا المعنى الكبير مكن اللسان العربي المبين من التعبير عنه في حدود ثلاث عشرة كلمة ورابط، وهو اقتصاد التركيبي في اللغة الألمانية مثلا:

Wenn Sie mit einem gegner ein freidens verspreche, eingehlten haben und sie vo seiner unredichkeit a Angst haben d rmation nn

ولعل الترجمة لا تحتاج إلى تعليق من الوجهة الاقتصادية لإبلاغ الغرض في الألمانية، إذ أنه حوالي سبعة وعشرين كلمة في التركيب الألماني لتوصيل الغرض والخبر.

Si tu redoutes la félonie d'un peuple tu est lié par un pacte dénonce le. Pour que vous en soyez tous également informes , car dieu n'aime pas les traitres

والأمر يطرح على السواء في اللغة الفرنسية التي لا تقوى في التعبير عن هذا الخبر إلا بأزيد من خمس وعشرين كلمة في التركيب، وبذلك تبتعد هي وسابقتها عن المبدأ الاقتصادي الذي عليه اللسان العربي لسان القرآن الكريم وكما نقول الأمر في الألمانية والفرنسية نقوله بغير تحفظ في اللغة الإيطالية.

ولعل هذه صورة بيانية مؤكدة لمقولة الإمام السيوطي في المزهر إذ يقول: "لم تستطع أن تأتي لهذه بألفاظ مؤدية عن المعنى الذي أودعته حتى تبسط مجموعها وتصل مقطوعها وتظهر مستورها [49]..والأمثلة في هذا السياق كثيرة ومنها قوله:

< وضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدد"[50]

الخاتـمة:

أراني مقرا بكبر شأن هذا الموضوع ومقصرا في ذات الوقت في إعطائه حقه اللازم. وحتى لا أكون مبالغا فإني أرى الموضوع عنوان مؤلف يستحق الرعاية والاهتمام حاضرا ومستقبلا للحاجة إليه وعلى الرغم من هذا وذاك فإني أختصر هذه الخاتمة في النقاط المستثمرة التالية:

. اللسان العربية عالم منطوق لعالم مشهود.

. بنية اللسان العربي العامة تركيبية وفيها إشارة البقاء.

. بنية اللسان الأعجمي تحليلية.

. عالم الصوت في اللسان العربي فريد ومتميز وللصوت دلالته الكلية فيه.

. عالم الصيغ ربيب علم الاشتقاق وبه يحكم اللسان ثباتا ومرونة.

---

[49]- المزهر، السيوطي، ص 323

[50]-الكهف 11

. عالم الصيغ مادة ثابتة محكمة لصناعة المصطلح العربي الصحيح الفصيح.

. وحدة المصطلح وهم مزعوم وإشكال مثار عن غياب فقه دقيق باللسان العربي.

. في اللسان العربي تراكيب متميزة تعجز عنها الألسن البشرية كلها.